

ايبيقور للحاضر ايضا

2016-12-06 حاتم حميد محسن

ان الفلسفة القديمة للحديقة (1) يراها البعض تقدّم جوابا مدهشا لتحديات العالم المعاصر.

كانت الايبوقورية اول فلسفة عالمية "خضراء" تأسست على يد الفيلسوف اليوناني القديم ابيقور عام 307 قبل الميلاد. وحينما لجأ الناس الى الفلسفات العلاجية القديمة، او الى فنون الحياة، اتجهوا نحو الرواقية لطلب المساعدة. غير ان الايبوقورية التي تصر على اننا نتعلم لنكون سعداء بالقليل، هي أحسن علاج لحالات القلق الشائعة.

كانت الايبوقورية تعاني من سوء الفهم لأكثر من الفي سنة. واليوم تُعتبر الايبوقورية كشكل من النقد لأنماط الاستهلاك السائدة. ايبوقور (270-341 قبل الميلاد) أقام مدرسته في حديقته الخاصة. اعضاء المدرسة الذين اتبعوه تبنوا مبدأ اللذة كمرشد لهم: الهدف من الحياة هو بلوغ اقصى اللذة. لكنهم ادركوا ان اللذة ليست تحقيق الرغبة بقدر ما هي السيطرة الرشيدة عليها. تأكيد ابيقور كان على المتعة الذهنية وليس المتعة الفيزيائية، فهو يرى ان من تأكل معه هو اكثر اهمية من الطعام ذاته. الرغبات المفتعلة وغير الضرورية يجب كبحها، واذا كان التعليم والثقافة والحضارة والمشاركة الاجتماعية والسياسية تطلق العنان للرغبات التي يصعب اشباعها وتقود الى اضطراب في ذهن المرء، فهي لابد من كبحها. يرى ابيقور ان أغنى المتعة هو التحرر من المعاناة. " هو أصر بان المقصود بالمتعة هو غياب الألم في الجسم والقلق في الروح".

يرى ابيقور ان الهدف من المعرفة هو تخليص الانسان من الخوف، هذا الخوف على نوعين هما الخوف من الالهة والخوف من الموت.

يعتقد ابيقور، ان للروح القلقة سببان رئيسيان هما الخوف من الموت والرغبات الخارجة عن السيطرة. هو حاول نبذ الاول عبر رفض المعتقدات الاسطورية الخارقة للطبيعة. لا شيء هناك يدعو للخوف من الموت، لأنك عندما تكون حي فان الموت سيكون في مكان آخر، وعندما تكون ميت

فانت سوف لن تكون هناك. اذاً حالما يتم طرد الخوف اللاعقلاني للموت فان الايبوقوري يستطيع التعامل مع هذه الحياة المحدودة. وكما بالنسبة للرغبة، تنصح الايبوقورية بميول قريبة جدا من بساطة الزهد الشرقية. فهي ترى ضرورة رفض السعي وراء المتع غير الضرورية للأحاسيس المتجددة والمزيد من الأملاك، وبدلا من ذلك يمكن ان نجد المتعة العميقة في الاشياء البسيطة. لذا لا توجد هناك منافسات في الطبخ في حديقة ايبيقور القديمة، ولا تذوق للخمر اليوناني الشهير. الوجبات الغذائية كانت مشتركة، رغم ان الملكية ليست كذلك. ايبيقور ذاته كان مقتنعا بالماء والخبز وشيء من الجبن الجاف. واثناء الحصار المفروض على اثينا احتفظ ايبيقور لجاليته بمخزن للفاصوليا.

مقاطع مكتوبة وُضعت على مدخل حديقة ايبيقور تشي بشيء من روحه السامية:

الراعي والقائم بضيافة هذا المكان، وحيث تجد متعة الخير الأسمى، سيقدم لك كيكا مجانا وماء نقيا. هذه الحديقة سوف لن تثير شهيتك لتذوق الفن وانما ستشبعها بمكافئات الطبيعة. الا ستكون ضيفا سعيدا؟".

فلسفة ايبيقور

الايبيقوريون يرون ان الفضيلة ذاتها لا قيمة لها، وهي تكون مفيدة فقط عندما تكون وسيلة لنيل السعادة. الفضيلة مطلوبة ليست لأنها مفروضة دينيا او انها نبيلة بطبيعتها وانما لأنها مفيدة للانسان. ايبيقور اعتبر الزواج تهديدا لصفاء الذهن ولذا هو امتنع عن الزواج مع انه لم يفرض تحريمه على اتباعه. الايبيقوريون اعتقدوا بوجود الآلهة لكنهم اعتقدوا ان الالهة مكونة من ذرات مثل اي شيء آخر، ولذلك وبسبب ان الآلهة بعيدة عن اي اهتمام في الارض فلا معنى للصلاة لها او التضحية لأجلها. فالآلهة لم يخلقوا الكون ولن يمنحوا المكافأة او يفرضوا العقوبة على اي شخص.

احدى الوصايا الرئيسية للايبيقوريين هي ان يعيش المرء مجهولا، وهذا كان في تضاد مع الافكار القديمة في البحث عن المجد والشهرة. الايبيقوريون رفضوا فكرة الحياة بعد الموت كما رفضوا الخشية من الموت، لأن الانسان في رأيهم اذا كان حيا فهو موجود، بينما الموت عدم لأنه لم يأت

بعد، وعندما يموت الانسان لم يعد موجودا فلا حاجة للخوف من الموت. هذه الفكرة عن الموت والتي تتألف من اربع عبارات نُقشت على قبور الايبيقوريين وبقيت في العديد من القبور القديمة للامبراطورية الرومانية.

الاخلاق

في عالم الاخلاق يرى ايبيقور "هناك ثلاثة دوافع للافعال المؤذية بين الناس وهي الكراهية والحسد والاحتقار، وان الرجل الحكيم سيتغلب عليها بالعقل". من الملفت ان نرى المثل الايبوقورية وهي تتحدث مباشرة للعديد من الحاجات المعاصرة. هذه المثل تجسدت في العبارات الشعرية التالية:

"لاشيء يدعو للخوف من الآلهة

لانشعر بأي شيء في الموت

الخير يمكن الحصول عليه

الشر يمكن تحمّله"

هذه العلاجات الروحية الأربع تبين لنا كيف نحقق المثل الايبوقورية في ان نكون سعداء في هذه اللحظة، وكيف نوقف تأجيل متعتنا بها.

كان ايبيقور من المفكرين الاوائل الذين طوروا فكرة العدالة كعقد اجتماعي. هو عرف العدالة كاتفاق لا يقع فيه الضرر. يجب حماية المجتمع من الأذى في ظل قوانين وعقوبات لكي يبقى المرء حرا في متابعة السعادة. ولهذا فان القوانين التي لا تساهم في حماية او تعزيز السعادة الانسانية هي ليست عادلة. نظرية ايبيقور تؤكد على تقليل الأذى وتعظيم سعادة الفرد والآخرين.

يقول ايبيقور: "يستحيل ان تعيش حياة سارة بدون ان تعيش بحكمة وصحة جيدة وعدالة. وانه

يستحيل ان تعيش بحكمة وصحة جيدة وعدالة ان لم تعيش حياة سارة".

الطبيعة وضعت هدفا لكل افعال الكائنات الحية بما فيها الانسان للبحث عن المتعة، مثلما يبدو من حقيقة ان الاطفال فطريا والحيوانات تميل للحصول على المتعة وتجنب الالم. المتعة والالم هما مصدر افعال جميع الكائنات الحية. المتعة هي اسمى الخير والالم هو اعنى الشرور. المتعة والألم هما نتيجة لإشباع الشهوات او الحرمان منها. يميز ابيقور ثلاثة انواع من الشهوات:

حاجات طبيعية وضرورية: الطعام، الشرب، النوم وهي يسهل اشباعها.

حاجات طبيعية وليست ضرورية: مثل الحاجة الشهوية، انها لا يصعب التحكم بها ولا نحتاج لها لبلوغ السعادة.

حاجات لا طبيعية ولا ضرورية: وهذه يجب رفضها كليا.

وبما ان الانسان مكوّن من جسد وروح فهناك نوعان من المتعة، متعة للجسد ومتعة للروح، وكذلك هناك ألم للجسد وألم للروح. غير ان ألم الجسد هو الاكثر سوءا لأنه مرتبط اما مباشرة او بشكل غير مباشر بألم الروح. يرى ابيقور ان لا حاجة للخوف من ألم الجسد لأنه حين يكون شديدا فهو لفترة قصيرة. وحينما يكون لفترة اطول واكل شدة سيكون قابلا للتحمل. هو اعتقد ايضا ان المرء يمكنه تحمّل ألم الجسد بتذكّر مرح الماضي.

اما بالنسبة لمتعة الروح فهي اكبر من متعة الجسد. متعة الجسد تكون اكثر قوة في الحاضر، بينما متعة الروح طويلة المدى، ويمكن بواسطتها تقليل ألم الجسد.

العالم الكوني لإبيقور

في محاولته توضيح حركة مكونات العالم، رأى ابيقور انه بالرغم من ان ذرات هذا الكون تميل للسقوط في خط مستقيم، لكنها تنزع الآن ولاحقا للانحراف والتمايل. هذه الصيغة البدائية

للنظرية الذرية للمادة لها دلالات اخلاقية وسايكولوجية عميقة لأن الانحراف في الطبيعة هو الذي يسمح للحرية الانسانية. استلهاهم ايبيقور للمادة الاساسية ذات السمة غير المنتظمة وغير المتنبأ بها "الحركة الحرة"، جعله يأمل بتحرير الانسانية من سلاسل القدرية. بدون هذا الانحراف، لا احد منا سيكون مسؤولاً عن افعاله، طالما هي كانت مقررة سلفاً. النتيجة النهائية للعالم القدري هي ان "كل سيطرة واستهجان هي باطلة وحتى الشرير لا يمكن معاقبته بعدالة".

يرى ايبيقور ان كوكبنا واحد من بين العديد من الكواكب. لكن فلسفة ايبيقور ترفض بإصرار وجود الاشياء الروحية المجردة المتجاوزة للطبيعة - كتلك التي عرضها افلاطون او التي جاءت في التقاليد المسيحية، وحتى عالم الكون الرواقي الذي يصر على وجود عالم كوني مقرر مملوء بانفاس الله.

الايبيقورية ترفض بالأساس جميع الافكار المتصلة بالثواب الاخروي. عند نقطة الموت، يعتقد ايبيقور اننا نتحلل الى العناصر الاساسية للكون وهي الذرات.

هذه الشجاعة في مسائلة الافكار حول الدين هي التي دفعت انصاره لتصوير ايبيقور كمحرر وكمنقذ وبطل للانسانية. "ولهذا فان الايمان بما وراء الطبيعة جرى نبذه بقوة والتعامل معه بقسوة". ينظر الشاعر الروماني لوكرتيوس Lucretius الى ايبيقور كمحارب لأجل الحرية الفلسفية كونه قلب الدين رأساً على عقب لكي يمنح الانسان مكانة ورمزا كان له تأثيراً تطورياً عميقاً بعد عدة قرون لاحقة على الشاب كارل ماركس. رسالة الدكتوراه لكارل ماركس تضمنت الكثير عن ايبيقور. الفكرة الماركسية عن الفيلسوف كأداة للتغيير تستمد جريتها من تقديس لوكرتيوس لايبقور كمحرر. وان فكرة ماركس عن اليوتوبيا الشيوعية "التي فيها يمارس الانسان القنص في الصباح ويصطاد الاسماك بعد الظهر ويرعى الماشية في المساء وينتقد بعد العشاء" لها طريقته الابيقورية المتميزة.

البساطة السعيدة

ان رسالة ايبيقور هي من حيث الجوهر دعوة للتحرر من الخوف الاسطوري من الموت، ومن الرغبة المدمرة. الباحث الفرنسي بييري هادوت Hadot Pierre استاذ الفلسفة القديمة اوضح بان

الايبيقورية تشجعنا "لنتعلم ان نكون راضين بما يشبع الحاجات الاساسية، بينما ترفض ما هو غير ضروري. انها صيغة بسيطة لكنها تنطوي على تغيير راديكالي عنيف لحياتنا".

هذا التفكير، لو تُرجم الى عبارات معاصرة فهو ربما يدفعنا لتحسين رغباتنا نحو الاستهلاك، ونحو السيارات والمزيد من المواد والادوات. الابيقورية بالضرورة فلسفة انوية بنتائج من انكار الذات. لذا فان فلسفة الحديقة تعالج السؤال الاخلاقي الملح: كيف نستطيع التعامل مع تهديد الاحتباس الحراري العالمي الناجم عن التصنيع المفرط، وما يعقبه من كوارث التآكل البيئي؟ ابيقور اجاب على هذا السؤال قبل وقت طويل من اثاره افكار الحدود الطبيعية كمرشد للفعل: "من يفهم حدود الحياة يعرف مدى سهولة الحصول على ما يكفي لإزالة ألم الحاجة ويجعل الحياة بأكملها تامة". ابيقور واتباعه يؤكدون "ان المرء يجب ان يعتبر الثروة المتجاوزة لما هو طبيعي هي ليست اكثر فائدة من الماء الفائض بعد ملاء الخزان".

رسالة روبرت واجورد عام 2013، (كم يكفي؟ النقود والحياة الجيدة)، هي نقد للنمو الاقتصادي السريع تبدأ باقتباس من ابيقور: "لا شيء يكفي الانسان الذي يرى مايكفيه هو قليل جدا".

يجب ان نتذكر ان فلسفة ابيقور هي موعظة بالقدم ورغم وضوحها المعاصر، هي الآن تبدو غريبة. فمثلا، الاعتقاد بالسلطة المطلقة للحواس، جعل ابيقور يعتبر الشمس ليست اكبر من التفاحة لأنها في العين المجردة تبدو بهذا الحجم.

.....
(1) philosophy Now Dec 2016/Jan 2017

(2) Wikipedia, the free encyclopaedia

الهوامش

(1) سُميت مدرسة ابيقور بـ "الحديقة" لأنه اقامها في حديقة بيته. كان للمدرسة عدد من المخلصين الموالين لايبيقور، ومن بين أعضاء المدرسة هرماركس وايديمونس و كولوتيس وبالينس وميتردورس. ركز ابيقور على الصداقة كعنصر مهم للسعادة، وكانت المدرسة تمثل جماعة معتدلة الزهد حين رفضت الميديا والاهتمام العام لفلسفة اثينا. كانت المدرسة متجاوزة للمحلية الى ما

وراء اثينا، شملت بذلك المرأة والعييد. بعض اعضاء المدرسة كانوا نباتيين حيث ان ابيقور لم يتناول اللحم رغم عدم تحريمه له. شعبية المدرسة تزايدت فاصبحت الى جانب الرواقية والشكية احدى اهم المدارس المسيطرة على الفلسفة الهلستينية والتي استمرت بقوة اثناء الامبراطورية الرومانية اللاحقة.

.....

* الآراء الواردة لا تعبر بالضرورة عن رأي شبكة النبا المعلوماتية